قول ابن تيمية في القرآن

قال الإمام شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية الحراني رحمه الله: وأقول في القرآن ما جاءت به آياته فهو الكريم المنزل وأقول: قال الله جل جلاله والمصطفى الهادي ولا أتأول وجميع آيات الصفات أمرها حقا كما نقل الطراز الأول وأرد عهدتها إلى نقالها وأصونها عن كل ما يتخيل قبحا لمن نبذ الكتاب وراءه وإذا استدل يقول: قال الأخطل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. يقول: وأقول في القرآن ما جاءت به آياته فهو الكريم المنزل يعني أننا نقول: إن القرآن آيات، وإنه منزل، وإنه قرآن كريم كما أخبر الله تعالى في قوله: { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } . والقرآن هو ما في هذه المصاحف التي كُتبت في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- ولكنها لم تكن مرتبة، ثم رتبت في عهد عثمان الخليفة الثالث -رضي الله عنه- ولما رتبت أرسلها إلى الآفاق، وأمرهم أن يقتصروا عليها وأن يقرءوها؛ فصاروا ينسخون من هذه المصاحف، ويفرقونها على القراء ويقرءونه كما كان. تواتر هذا القرآن واشتهر، وأصبح معروفا؛ معترفا بأنه القرآن الذي نزله الله تعالى على قلب محمد - صلى الله عليه وسلم- قال الله تعالى: { وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } فأخبر بأنه { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ } أي: نزل به جبريل -عليه السلام- على قلب محمد صلى الله عليه وسلم. وأخبر بأنه كلام الله؛ منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأنه أفضل الكلام { كان النبي-صلى الله عليه وسلم- يخطب أحيانًا، فيقول: إن أفضل الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد } . فكان يعترف بأنه كلام الله، وقد سمي أيضا كلام الله تعالى كما في قوله عز وجل في سورة البقرة: { وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ } أخبر بأنه كلام الله، وكذلك في سورة التوبة يقول تعالى: { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ } ومعلوم أن الذي يسمعه هو ما في هذه المصاحف؛ يسمعه يُتلى، وكذلك في سورة الفتح يقول الله تعالى: { يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ } فأخبر بأنه كلام الله. وكذلك أيضا ذكر عن نفسه أنه سبحانه يتكلم، فقال عز وجل: { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ } يعني: موسى وقال في سورة النساء: { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } وكذلك أخبر بأن الله تعالى له كلمات في قوله: { وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا } { وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ } وآيات كثيرة. وكذلك أيضا أخبر بأن كلامه لا يحيط به الوصف، ولا يمكن أن يكتب كله فقال تعالى: { قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا } وقال تعالى: { وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ } يعني: لو أن هذه البحار ومنها مثلها سبع مرات سبعة أبحر، وأن أشجار الأرض من أول الدنيا إلى آخرها كلها أقلام؛ فكتب بذلك البحر يعني: كمداد يعني: حبر، وكتب بتلك الأقلام لفنيت البحار، ولتكسرت الأقلام قبل أن يفنى وينفد كلام الله، وذلك لأنه ليس له بداية ولا نهاية، فهو كلام الله تعالى على ما يعتقده أهل السنة أنه قديم النوع، متجدد الآحاد. يعني أنه تكلم في الأزل، وأنه يتكلم إذا شاء وكيف شاء، وأنه يُسمِع كلامه من يشاء من خلقه. ففي حديث النواس بن سمعان -رضي الله عنه- يقول صلى الله عليه وسلم: { إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي... } هكذا أخبر. تكلم بالوحي، فدل على أنه يتكلم، ثم يقول: { أخذت السماوات منه رجفة -أو قال- رعدة شديدة خوفا من الله عز وجل } . فهذا يفيد بأنه يتكلم، وأن لكلامه شدة بحيث أن السماوات ترتجف من هيبة كلامه، فهو يتكلم إذا شاء ومتى شاء، وأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن الله تعالى يكلم عباده يوم القيامة، فيقول: { ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان } الترجمان الذي ينقل الكلام من لغة إلى لغة. أي أن ربنا سيكلم عباده، وهكذا أيضا يكلمهم في الجنة ويكلمونه، وذلك كله دليل على إثبات صفة الكلام، وأنه سبحانه يتكلم كما يشاء. وأن من جملة كلامه هذا القرآن؛ حروفه ومعانيه. ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف؛ بل إنه كلامه سبحانه كما يشاءه. هذه عقيدة سلف الأمة وأئمتها.